نابليون يخطب ود اليهود

لم يغفل نابليون وهو يقوم بغزو مصر أن يخطب ود اليهود سواء في فرنسا أو في مصر ففي فرنسا «عقد إتفاقاً سرياً مع زعماء اليهود قبل أن يقوم بغزو مصر وينص هذا الاتفاق الذي يعتبر من أقدم مؤتمرات الصهيونية العالمية ضد مصر وشعب فلسطين بأن يقوم بنك روتشيلد «باريس» بتمويل حملته العسكرية على مصر وأن يقوم صناع السفن اليهود في ميناء جنوه الايطالي ببناء قطع أسطوله البحري مقابل أن يزحف بونابرت على رأس قواته بعد أن يتم إحتلال مصر وإخضاع شعبها على فلسطين وغزوها وإعلان إنشاء وطن قومي لليهود فيها.

ووافق نابليون على أن يتنازل بعد أن يحقق حلم الصهيونية العالمية الكبير عن قطع اسطوله البحري إلى الدولة اليهودية لتحويله إلى أسطول تجاري يرفع علم الدولة اليهودية ويعمل لحسابها.

يقول المؤرخ اليهودي إيلي ليفي أبو عسل في كتابه «يقظة العالم اليهودي» المطبوع في القاهرة سنة ١٩٣٤ ص٩٩ «أجمع علماء التاريخ من فرنسيين وإسرائيلين من عهد بعيد على التسليم بأن فكرة إعادة اليهود إلى فلسطين كانت في طليعة المرامي والمشاريع الاجتماعية السامية التي كانت تجول في مخيلة نابليون الوقادة ويطمح في تحقيقها حيال المسألة الشرقية عندما شرع في تجهيز حملته لغزو مصر والشام»[١].

(١) راجع المؤامرات الصهيونية بالوثائق على مصر - جميل عارف. دار المكتب المصري الحديث.

ويقول في صفحة ١٠٤ من الكتاب بالحرف الواحد:

«إن مقاصد نابليون وفكرته على أعظم جانب من الصراحة والإخلاص، فقد كان يعتبر اليهود ولاسيما المقيمين منهم في آسيا وأفريقيا تابعين لأمة تعتقد بأنه إذا كان اليهود يعلمون بأن أمانيهم الوطنية السامية يجب تحقيقها وأنه إذا كان هناك أمل في تجديد كيانهم في بلادهم كأمة مستقلة.. فإن عليهم أن يستنفدوا آخر سهم في كنانتهم.. أي في جعبتهم لمساعدة نابليون على إحراز النصر ونوال الظفر.. وقد نقل إلينا التاريخ أن الحاخام يوسف مردخاي يوسف بنوحس كان من أشد أنصار مشروع بونابرت ومن أقوى المحبذين لغايته ومراميه»..

ثم استطرد المؤلف يقول في كتابه:

«من المحقق أن فكرة إقامة وطن لبني إسرائيل في فلسطين طفقت تزداد سعيرا في ذهن نابليون، وكانت شغلاً شاغلاً له وكان يلوح له أن هذا الحل ممكن جدا إذا نجح ولو قليلاً في تغيير مجرى الأمور في الشرق، ولم تكن حملته على مصر إلا وسيلة لبلوغ هذه الغاية، ولكن شاءت الأقدار ألا تتحقق آماله ذلك أن نابليون بعد فشله أمام قلعة عكا بالرغم من انتصاراته العظيمة اضطر إلى مغادرة القطر المصري بسرعة والعودة إلى فرنسا تاركاً قواته في مصر»..

ويقول:

«إن إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين كان أحد الأهداف التي كان نابليون بونابرت يعمل على تحقيقها عندما قام بعملية غزو مصر».

ومن الجدير بالذكر أن إيلي ليفي أبو عسل مؤلف الكتاب المذكور يشير إلى حقيقة مهمة وهو يتحدث عن عدد اليهود في فلسطين أثناء الحملة الفرنسية على فلسطين ومصر فيقول: «أن اليهود في مدينة عكا لم يكن يزيد في تلك الأيام عن ٣٦ عائلة فقط وأن عددهم في أورشليم أي في القدس لم يكن يزيد على ١٠٠٠ نسمة في حين كان عدد الأهالي الوطنيين أي العرب يقدر بحوالي عشرة آلاف نسمة».

وبعد دخول نابليون مصر أخذ يغازل اليهود ويداعب أحلامهم في إقامة دولة لهم بفلسطين فوجه هذا النداء إلى اليهود بصفة عامة واليهود الشرقيين بصفة خاصة يقول فيه بالحرف الواحد:

«من بونابرت القائد الأول لجيوش الجمهورية الفرنسية في أفريقيا وآسيا إلى الورثة الشرعيين لأرض فلسطين..

أيها الإسرائيليون أيها الشعب الفريد الذي لم تستطع شهوة الفتح والطغيان أن تسلبه نسبه ووجوده القومي، وإن كانت قد سلبته أرض الأجداد فقط.

وعلى الرغم من أن المراقبين المحايدين من المهتمين بمصائر الشعوب لا يتحلون بمواهب الأنبياء أمثال أشعيا ويوئيل، إلا أنهم أدركوا منذ وقت طويل ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع أن عبيد الله أو إسرائيل التي تعني في اللغة العبرية أسير الله أو عبدالله.. سوف يعودون وهم يرددون الأناشيد إلى صهيون وسوف تعمهم السعادة حين يستعيدون مملكتهم دون خوف.

وكما تقول نبوءة «أشعيا».. والذين ناداهم الرب يرجعون ويأتون إلى

صهيون بترنيم ويكون على رؤوسهم فرح أبدي ويتبعه السرور والفرح وينهزم عنهم الحسرة والتأوه.

ألا ثوروا على العار.. ياأيها المشردون في التيه وأعلنوها حربا مهولة يخوضها شعبكم.. حربا لم يحدث مثلها في تاريخ البشرية.. حربا تقوم بها من اعتبرت أرضها ـ بجرة قلم من الحكام ـ غنيمة لأعدائها الذين عملوا بفظاظة على تقاسمها فيما بينهم وكما يشاؤون.. وإن فرنسا تنتقم لعارها ولعار أبعد الأمم التي تركت منسية وتركت طويلاً تحت أغلال العبودية، وتنتقم للعار الذي شل إرادتكم خلال ألفي سنة، ومع أن الوقت والظروف لم يكونا يسمحان للمناداة بمطالبكم أو التعبير عنها، بل إن هذه الظروف أرغمتكم بالقسر للتخلي عن حقكم، ولهذا فإن فرنسا تقدم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل، وهي تفعل ذلك في هذا الوقت بالذات، وبالرغم من شواهد اليأس والعجز. إن الأمة التي لا تتاجر بالشرف كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادكم إلى كل الأمم تناديكم، ليس من أجل أن تقوموا بغزو ميراثكم.. كلا بالتأكيد، ولكن من أجل أن تتسلموا منها ما احتلته حتى الآن كي تبقوا أسياد البلاد ولكي تدافعوا عنها ضد كل الذين يريدون غزوها.

إن الجيش الصغير الذي بعثتني العناية الإلهية به إلى هنا جعل من القدس مقر قيادته الرئيسية. إن هذا الجيش الذي يمشي بالنصر أمامه وبالعدل وراءه سوف ينتقل بعد أيام قليلة إلى دمشق المدينة المجاورة التي استهانت طويلاً بمدينة داود وأذلتها..

يا ورثة فلسطين الشرعيين..

إن الأمة الفرنسية التي لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل غيرها تدعوكم لتسلم إرثكم بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء.

ألا هبوا.. وبرهنوا على أن القوة الساحقة لمضطهديكم لم تستطع بالتأكيد أن تصيب شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأخوى شرفا لإسبرطه وروما، وأن معاملة العبيد التي طالت ألفي سنة لم تفلح في قتل هذه الشجاعة.

ألا هبوا فها قد سنحت الفرصة المناسبة التي قد لا تتكرر ثانية لآلاف السنين للمطالبة باستعادة حقوقكم ومعاناتكم بين شعوب العالم.. تلك الحقوق التي سلبت منكم لآلاف السنين.. ومن أجل المطالبة باستعادة كيانكم السياسي كأمة بين الأمم وبحقكم الطبيعي في عبادة إلهكم يهودا طبقا لعقيدتكم علنا، وعلى أن تفعلوا ذلك إلى الأبد»[1].

****

(١) المرجع السابق.